قد لعمري أقصرت عنك والوفود ازدحام ... وللعطا ازدحام
من الرشد لم أزرك على القرب ... على البعد يعرف الإلمام

ولو أنه يا سيدي قلبك لا تقلبه السرّاء ولا الضرّاء، وعرض غير ملوم لا يدنّس العراء، طالما نطقت بلسانه، يشبه خلقته خلقة إنسان، ونمقت بقلم كان لسانا بر لسان إنسان، لا يعرف جواد همّا في مضمار الكلام، وصلت بحسام همة لا ينبو شباه عن ضرب أعناق اللئام، لم أرجع بحمد الله كابيا الشعر، رخيص الشعر نزر الكلام، كسلان إلا قلام، غافلا عما هو لمحقوق شعرا ولازم، جاهلا بما هو محرك للأشعار وجازم

وما الحلم ما زعمت بما بعثه ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

فليتك يا سيدي ومولاي تقول

أبى الدهر لا يعتري خلقي ... دنس يكدره ولا الآن

وكل هذا لا يساوي هذا الملق، ولا يستغرق السجع المنمق، وإن يتعرفت أبقاك الله جميع ما نقل عني أو زعمت أنه صدر مني، فطالما كانت العفو عند الكريم سببا للرجعى، والقسوة عند الحليم سلما للعتبى، والصلة بعد القطيعة أبقى، والنزع بعد النفرة أخلص وأصفى، ولطالما انكسرت المودة فانجبرت، وأقبلت الأحوال بعد ما أدبرت، فليس لما صدر ربة تحمل عن أسبابها، ولا قرارة تسع أساسا والكدر يعلق من حكاه، والغالط مردود على من رواه، فالمرء يمن نحو ذا أعم لا أصبر في مكارم، وأنا تاجر قيل وقال، لا تاجر مقال وفعال

دعوى الواشي فيما أنا خاضر ... وصوتي مرفوع ووجهي بارز

والمرء إن قصر ما يكون بيانه، إذا طال لسانه، وإنما يتماط بحلاوة الغرس من احتمل مرارة الغرس

أنف الكريم من الدنية تاركه ... في حينه العدد الكثير قليلا
والكلام يقام وليس بخائف ... من حتفه من خاف مما قيلا

ولئن عاد إلى التقريع والادعا في إجادة التعريض، لم أدع في لساني فضالة إلا أحضرتها، ولا في قلبي بجمعة إلا نثرتها، ليعلم أن الكريم من أكرم الأحرار واللئيم من غرز ربا الأحجار، وأن الرياسة حيث النفاسة، وأنى من أداري صادّ أو ذا أكال جاد، وأن الحر إذا جرح أسى، وإذا خرق رفا، ومن بسط عذر الأيام، فقد بسط عذر الأنام، جعل الله أوقاته صافية من الكدر، خالصة من التغيير، ومساعيه محمودة الأثر، وعلومه زاكية الثمر، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير

أيا عاتبا لا أحمل الدهر عتبه ... علي ولا عندي لأنعمه جحد
سأسكت إجلالا لعلمك أنني ... إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللد

ما كتبه لبعض أحبابه في صدر رسالة

أيها السيد الذي أنا عبده ... والذي أنطق المدائح مجده
لي إلى وجهك الجميل غرام ... لم يذره غضو شيئا في وكده

ا

أما إن رثت وتخلفت عهد ... بل ولي صفا وتحقق وده
يستوي في الولا قربي وبعدي ... وسوا قربه الولي وبعده
غير أني على مودة مولى ... ضاق عنها شكر الكلام وحمده

وقوله في بعض الصدور

حدثت يا ليلى من ملال النفس فانصرفت ... وآيست من حدو حوامل أطمع
فكن على ثقة أني على ثقة ... ألا أعلل نفسي اليوم بالخدع
فأيها الحسن إن اليوم هجرك لي ... ولست أطمعني وصلا بمنقطع
هجرت ذكرك عن قلبي وعن أذني ... وعن لساني فقل ما شئت ودع
إذا تباعد قلبي عنك منصرفا ... فليس يدنيك مني أن تكون معي

[illegible] ومن ظريف قوله

أمير تولى أنت مثلك سيرة ... كرما فما ذكرا إن رأيت فضولا
والنصح فرط رعا يجر إلى التي ... في السمع يحول النصح ثقيلا
سواك يجيبهم إن عنيت بعقول ... فتخلى أسماعا كرا جميل المقولا
وإذا نظرت رأيتها رقعة ... لم تغن عن أن تعرف المملولا

وكتب إلى بعض أخلائه

أكملت نسمات البكور تحملا ... بحمل سلامي وبث غرامي
فتدنت بما قد تحمل من جوى ... وقد ضعف عن أعباء برح أوامي
وتعثر في الأذيال من ثقل حملها ... ومن عجب تسير به بيت غرام
ترفقها من رحمة لي وطيبها ... شذا مدحي فيكم ونشر سلامي

وكتب إليه مفتي الشام عبد الرحمن العمادي وهو قاض بطرابلس

مولاي إن شئت له أيطابت طرابلس ... بمن أصبح بها الوحش مؤتنس
نشر عزا فضله في الناس مشتهرا ... كالشمس في شفق والصبح في غلس
أنت الذي نحن العصر المقصود ربه ... ذو فهم شك كل مقر عن طرابلس
تركا من حرا شواق دهنا عقبه ... ترحاله يا ركب لنا ربي التقبس
لكن رجونا لقاء منك يطفئه ... يا رب فاجعل رجانا غير منعكس

فأجابه بقوله

هذا كلام كرام ذي يحتزر القدس ... يا طيب ذي رأي عرقه الأنس
فجدد الكلما كرته بنفسي ... كأنه أشنب قد جاد بالعس
كأنما كل سطر منه أو كما ... غصن ترقرق الأثمار لم يمس
كأن أنهار يدرقها درر ... وفي سوى القلب والأسماع لم تطس
نظم بديع جناس الإلغاظ حلا ... منه فلله هذي طيبة الأنس
كحائل السعد تبدو من دقائقه ... كالخد أجفانه مالت إلى النعس
لنا به كل وقت عن سواه غنى ... في طلعة الشمس ما يغني عن القبس
تكسو مسامع أسياف صناعته ... وتكتسي صنع صنعا وأندلس
فبينما نحن نجني من أزاهرها ... إذا شرقت كهو مثل الزهر في الغلس

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)